حيث يقول الله تبارك وتعالى ((**إِنَّا أَنزَلْنَهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَآ أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ**)) .((**إنا أنزلناه**)): الضمير هنا يعود إلى الله عز وجل، والهاء في قوله ((**أنزلناه**)) يعود إلى القرآن، وذكر الله تعالى نفسه بالعظمة ((**إنا أنزلناه**)) دون أن يقول" إني أنزلت " لأنه سبحانه وتعالى العظيم الذي لا شيء أعظم منه، والله تعالى يذكر نفسه أحياناً بصيغة العظمة مثل هذه الآية الكريمة ((**إنا أنزلناه في ليلة القدر**)) ومثل قوله تعالى: ((**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**)). ومثل قوله تعالى: ((**إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين**)). وأحياناً يذكر نفسه بصيغة الواحد مثل : ((**إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري**)). وذلك لأنه واحد عظيم، فباعتبار الصفة يأتي ضمير العظمة، وباعتبار الوحدانية يأتي ضمير الواحد. والضمير في قوله: ((**أنزلناه**)) أعني ضمير المفعول به وهي الهاء يعود إلى القرآن وإن لم يسبق له ذكر؛ لأن هذا أمر معلوم، ولا يمتري أحد في أن المراد بذلك إنزال القرآن الكريم، أنزله الله تعالى في ليلة القدر فما معنى إنزاله في ليلة القدر؟ الصحيح أن معناها: ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر، وليلة القدر في رمضان لا شك في هذا ودليل ذلك قوله تعالى: ((**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**)). فإذا جمعت هذه الآية أعني ((**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن**)) إلى هذه الآية التي نحن بصدد الكلام عليها : ((**إنا أنزلناه في ليلة القدر**)) تبين أن ليلة القدر في رمضان، وبهذا نعرف أن ما اشتهر عند العامة من أن ليلة القدر هي ليلة النصف من شهر شعبان لا أصل له، ولا حقيقة له، فإن ليلة القدر في رمضان، وليلة النصف من شعبان كليلة النصف من رجب، وجمادى، وربيع، وصفر، ومحرم وغيرهن من الشهور لا تختص بشيء، حتى ما ورد في فضل القيام فيها فهو أحاديث ضعيفة لا تقوم بها حجة، وكذلك ما ورد من تخصيص يومها وهو يوم النصف من شعبان بصيام فإنها أحاديث ضعيفة لا تقوم بها حجة، لكن بعض العلماء ــ رحمهم الله ــ يتساهلون في ذكر الأحاديث الضعيفة فيما يتعلق بالفضائل: فضائل

الأعمال، أو الشهور، أو الأماكن وهـذا أمـر لا ينبغـي، وذلـك لأنـك إذا سقت الأحاديث الضعيفة في فضل شـيء مـا، فـإن السـامع سـوف يعتقد أن ذلك صحيح، وينسـبه إلـى الرسـول عليـه الصـلاة والسـلام وهذا شيء كبير، فالمهم أن يوم النصف مـن شـعبان وليلـة النصـف من شعبان لا يختصان بشـيء دون سـائر الشـهور، فليلـة النصـف لا تختص بفضل قيام، وليلة النصف ليست ليلة القدر، ويـوم النصـف لا يختص بصيام، نعم شهر شعبان ثبتـت السـنة بـأن النـبي صـلى اللـه عليه وعلى آله وسلّم يكثر الصيام فيه حتى لا يفطر منه إلا قليلاً وما سوى ذلك مما يتعلق بصيامه لم يثبـت عـن النـبي صـلى اللـه عليـه وعلى آله وسلّم إلا ما لسائر الشهور كفضل صوم ثلاثة أيام من كـل شهر وأن تكون في الثالث عشر، والرابـع عشـر، والخـامس عشـر، وهي أيام البيض. وقوله تعالى: ((**في ليلـة القـدر**))، مـا معنـى القدر؟ هل هو الشرف؟ كما يقـال فلان ذو قـدر عظيـم، أو ذو قـدر كبير، أي ذو شرف كبير، أو المراد بالقدر التقدير، لأنه يقدر فيها مـا يكون في السنة لقول الله تعالى: ((**إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منـذرين. فيهـا يفـرق كـل أمـر حكيـم**)). أي يفصـل ويـبين، مـن العلمـاء مـن قـال بهـذا، ومـن العلمـاء مـن قـال بهـذا، والصحيح أنـه شـامل للمعنيـين، فليلـة القـدر لا شـك أنهـا ذات قـدر عظيم، وشرف كبير، وأنه يقدر فيها مـا يكـون فـي تلـك السـنة مـن الإحيـاء والإماتـة والأرزاق وغيـر ذلـك. ثـم قـال جـل وعلا: ((**وما أدراك ما ليلة القدر**)) وهذه الجملة بهـذه الصـيغة يسـتفاد منهـا التعظيم والتفخيم، وهي مطردة في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ((وما أدراك ما يوم الـدين. ثـم مـا أدراك مـا يـوم الـدين)). وقـال تعالى: ((**الحاقة . مـا الحاقـة. ومـا أدراك مـا الحاقـة**)). ((**القارعة. ما القارعة. وما أدراك ما القارعة**)) فهذه الصـيغة تعني التفخيم والتعظيم فهنا قال: ((**وما أدراك ما ليلة القدر**)) أي ما أعلمك ليلـة القـدر وشـأنها وشـرفها وعظمهـا، ثـم بيـن هـذا بقـوله: ((**ليلـة القـدر خيـر مـن ألـف شـهر**)) وهـذه الجملـة كالجواب للاستفهام الذي سبقها، وهو قوله: ((**وما أدراك ما ليلة القدر**))، ((**ليلة القدر خير مـن ألـف شـهر**)) أي مـن ألـف شهر ليس فيه ليلة القدر، والمراد بالخيرية هنـا ثـواب العمـل فيهـا، وما ينزل الله تعالى فيها من الخير والبركة على هذه الأمة، ثم ذكر

مـا يحـدث فـي تلـك الليلـة فقـال: ((**تنـزل الملائكـة والـروح فيها**))، تنزل: أي تنزل شيئاً فشيئاً؛ لأن الملائكة سكان السموات، والسموات سبع فتنزل الملائكـة إلـى الأرض شـيئاً فشـيئاً حـتى تملأ الأرض، ونـزول الملائكـة فـي الأرض عنـوان علـى الرحمـة والخيـر والبركة، ولهذا إذا امتنعت الملائكة من دخول شـيء كـان ذلـك دليلاً على أن هذا المكان الذي امتنعت الملائكة من دخوله قـد يخلـو مـن الخير والبركة كالمكان الذي فيه الصور، فإن الملائكـة لا تـدخل بيتـاً فيه صورة، يعني صورة محرمة؛ لأن الصورة إذا كانت ممتهنـة فـي فراش أو مخدة، فأكثر العلماء على أنها جائزة، وعلى هذا فلا تمتنـع الملائكة مـن دخـول المكـان، لأنـه لـو امتنعـت لكـان ذلـك ممنوعـاً، فالملائكـة تتنـزل فـي ليلـة القـدر بكـثرة، ونزولهـم خيـر وبركـة. ((والـروح)) هـو جبريـل عليـه السـلام خصـه اللـه بالـذكر لشـرفه وفضله، وقـوله تعـالى: ((**بإذن ربهـم**)) أي بـأمره، والمـراد بـه الإذن الكوني؛ لأن إذن الله ـ أي أمره ــ ينقسـم إلـى قسـمين: **إذن كوني**، **وإذن شرعي**، فقوله تعالى: ((**شرعوا لهم من الـدين ما لم يأذن به الله**)). أي ما لم يأذن به شـرعاً، لأنـه قـد أذن بـه قدراً، فقد شرع من دون الله، لكنه ليس بإذن اللـه الشـرعي، وإذن قدري كما في هذه الآية ((**بإذن ربهم**)) أي بأمره القدري وقوله: ((**من كل أمر**)) قيل إن ((**من**)) بمعنى الباء أي بكـل أمـر ممـا يأمرهم اللـه بـه، وهـو مبهـم لا نعلـم مـا هـو، لكننـا نقـول إن تنـزل الملائكة في الأرض عنوان على الخيـر والرحمـة والبركـة. ((سـلام هـي)) الجملـة هنـا مكونـة مـن مبتـدأ وخـبر، والخـبر فيهـا مقـدم، والتقدير: " هي سلام " أي هـذه الليلـة سـلام، ووصـفها اللـه تعـالى بالسلام، لكثرة من يسلم فيها من الآثام وعقوباتها، قال النبي صـلى الله عليه وسلّم: (**من قام ليلة القدر إيماناً واحتسـاباً غفـر له ما تقدم من ذنبه**)، ومغفرة الذنوب لا شـك أنهـا سـلامة مـن وبائها وعقوباتها. ((**حتى مطلع الفجر**)) أي تتنـزل الملائكـة فـي هذه الليلة حتى مطلع الفجر، أي إلى مطلع الفجر، وإذا طلـع الفجـر انتهت ليلة القدر. سبق أن قلنا إن ليلة القدر في رمضـان، لا شـك، لكن في أي جزء من رمضان أفي أوله، أو وسطه، أو آخـره؟ نقـول في الجواب على هذا: إن النبي صلى الله عليه وسلّم اعتكف العشر الأول، ثم العشر الأوسط تحرياً لليلـة القـدر، ثـم قيـل لـه: إنهـا فـي

العشر الأواخر فاعتكف العشر الأواخر، إذاً فهي أعني ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان. وفي أي ليلة منها؟ الله أعلم قد تكون في ليلة إحدى وعشرين، أو في ليلة الثلاثين، أو فيما بينهما، فلم يأت تحديد لها في ليلة معينة كل عام، ولهذا أري النبي صلى الله عليه وسلّم ليلة القدر ليلة إحدى وعشرين ورأى في المنام أنه يسجد في صبيحتها في ماء وطين، فأمطرت السماء تلك الليلة أي ليلة إحدى وعشرين، فصلى النبي صلى الله عليه وسلّم في مسجده، وكان مسجده من عريش لا يمنع تسرب الماء من السقف، فسجد النبي صلى الله عليه وسلّم صباحها أي في صلاة الفجر في الماء والطين، ورأى الصحابة رضي الله عنهم على جبهته أثر الماء والطين، ففي تلك الليلة كانت في ليلة إحدى وعشرين، ومع ذلك قال: (**التمسوها في العشر الأواخر**)، وفي رواية: (**في الوتر من العشر الأواخر**)، ورآها الصحابة ذات سنة من السنين في السبع الأواخر، فقال صلى الله عليه وسلّم: (**أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر**)، يعني في تلك السنة، أما في بقية الأعوام فهي في كل العشر، فليست معينة، لكن أرجاها ليلة سبع وعشرين، وقد تكون مثلاً في هذا العام ليلة سبع وعشرين، وفي العام الثاني ليلة إحدى وعشرين، وفي العام الثالث ليلة خمس وعشرين وهكذا.. وإنما أبهمها الله عز وجل لفائدتين عظيمتين: **الفائدة الأولى**: بيان الصادق في طلبها من المتكاسل، لأن الصادق في طلبها لا يهمه أن يتعب عشر ليال من أجل أن يدركها، والمتكاسل قد يكسل إن لم يعلم أي ليلة هي، يكسل أن يقوم عشر ليال من أجل ليلة واحدة. **الفائدة الثانية:** كثرة ثواب المسلمين بكثرة الأعمال؛ لأنه كلما كثر العمل كثر الثواب. وبهذه المناسبة أود أن أنبه إلى غلط كثير من الناس في الوقت الحاضر حيث يتحرون ليلة سبع وعشرين في أداء العمرة، فإنك في ليلة سبع وعشرين تجد المسجد الحرام قد غص بالناس وكثروا، وتخصيص ليلة سبع وعشرين بالعمرة من البدع، لأن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم لم يخصصها بعمرة في فعله، ولم يخصصها أي ليلة سبع وعشرين بعمرة في قوله، فلم يعتمر ليلة سبع وعشرين من رمضان مع أنه في عام الفتح ليلة سبع وعشرين

من رمضان كان في مكة ولم يعتمر، ولم يقل للأمة تحروا ليلة سبع وعشرين بالعمرة، وإنما أمر أن نتحرى ليلة سـبع وعشـرين بالقيـام فيها لا بالعمرة، وبه يتبين خطأ كثير من النـاس، وبـه أيضـاً يتـبين أن الناس ربما يأخذون دينهـم كـابراً عـن كـابر، علـى غيـر أسـاس مـن الشرع، فاحذر أن تعبد الله إلا على بصيرة، بدليل من كتاب اللـه، أو سـنة رسـوله صـلى اللـه عليـه وعلـى آلـه وسـلّم أو عمـل الخلفـاء الراشدين الذين أمرنا باتباع سنتهم.

.